بقلم: محمد عمر عبدي ✍️

المقدمة 🕌

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فإن العلم نور، والله تعالى هو الذي يفتح لعباده أبواب الفهم والحكمة. وما هذه الرسالة التي بين يديك إلا نفحة من نفحات التوفيق، ومنحة من رب العالمين، وما كنتُ لأبلغها بقوتي ولا بذكائي، وإنما هو فضل الله عليَّ، أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه، نافعة لعباده.

وقد رأيتُ أن أكتب في مسألة عظيمة من مسائل العقيدة، طالما وقع فيها التساؤل والإشكال، ألا وهي: لماذا لا يُرى الله في الدنيا؟ وما الحكمة من ذلك؟

إن هذه المسألة ليست نظرية مجردة، بل هي باب من أبواب معرفة الله تعالى، إذ بها يُدرِك المسلم أن ربه أكمل الكاملين، لا يليق أن يُرى في دار النقص، وإنما يُرى في دار الكمال يوم القيامة. وهي أيضًا مسألة تعرِّف الناس بأقسام الخلق في الإيمان: الكاملين، والناقصين، ومن جمعوا بين الطاعة والمعصية.

وإني ما قصدتُ بهذه الرسالة إلا رفع الجهل عن نفسي أولًا، ثم عن إخواني من المسلمين، رجاء أن ينفعنا الله جميعًا بها، ويجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. فإن أصبتُ فبتوفيق الله، وإن أخطأتُ فمني ومن الشيطان.

الفصل الأول: لماذا لا يُرى الله في الدنيا؟ ✨

الله سبحانه وتعالى هو أكمل الكاملين ذاتًا وصفاتًا.

ومعنى ذلك: أن ذاته سبحانه وجودها أزلي أبدي، مخالف للحوادث، منزه عن النقص والعدم. وصفاته كلها صفات كمال مطلق: من قدرة، وعلم، وحياة، وإرادة، وكلام، وسمع، وبصر.

أما كمال المخلوق فهو نسبي ناقص، لأنه مهما بلغ فإنه محدود بضعفه وعجزه، ولا ينفك عن النقص والزوال. وأما كمال الله فهو مطلق، لا يطرأ عليه نقص، ولا يعتريه عجز، ولا يعتريه زوال.

ولذلك لا يليق أن يُرى في دار النقص (الدنيا)، وإنما يُرى في دار الكمال (الآخرة). فالرؤية نعيم كامل، ولا يتحقق إلا في دار الكمال: الآخرة.

قال تعالى:

{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام: 103).

وقال النبي ﷺ:

«واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» (رواه مسلم).

وقد جاء الدليل القاطع في قصة موسى عليه السلام، حين سأل ربه الرؤية في الدنيا:
{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا} (الأعراف: 143).
فهذه الآية دليل بيّن على أن رؤية الله في الدنيا غير ممكنة، لأنها دار النقص. أما في الآخرة فهي دار الكمال، وهناك يكرم الله الأنبياء والمرسلين، وجميع المؤمنين بالنظر إلى وجهه الكريم، وهو أعظم نعيم يناله أهل الجنة.

الفصل الثاني: أقسام الناس في الإيمان ✨

البشر في علاقتهم بالله عز وجل ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

1. الكامل:

وهو الذي اجتمع له الإيمان الصحيح، والعمل الصالح التام، والقول الطيب، فلا يكذب ولا يغتاب، ولا ينطق إلا بالحق. وهؤلاء هم أولياء الله حقًا، وأعلاهم الأنبياء والرسل.

2. الناقص:

وهو الذي لا إيمان له أصلًا، كالكفار والمنافقين.

3. كامل البعض (أو: الكامل من بعض الوجوه):

وهم غالبية الناس، وُجد عندهم أصل الإيمان، لكنهم يقصرون في بعض العبادات أو يضعفون في أقوالهم وأفعالهم. وهؤلاء قد يرفعهم الله بالتوبة والعمل الصالح ليبلغوا درجة الكمال.

قال تعالى:
{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} (فاطر: 32).

الفصل الثالث: صفات الله تعالى ✨

إن صفات الله كلها صفات كمال مطلق، لا يشاركه فيها أحد من خلقه. غير أن آثار بعض هذه الصفات يشمل كل الخلق، بينما بعض الآثار لا يَحلُمُ بها إلا العباد الكاملون الذين رفع الله عنهم الحجاب، كالأنبياء والمرسلين.

1. الصفات التي يشترك في آثارها جميع الخلق (صفات التأثير):

الوجود

القدم

البقاء

مخالفته للحوادث

قيامه بنفسه

الوحدانية

القدرة

الإرادة

العلم

الحياة

قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

{إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ}

{وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا}.

2. الآثار التي لا يَحلُمُ بها إلا العباد الكاملون:

أ. الكلام:

قال تعالى:

{وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} (النساء: 164).

وكما شرَّف نبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج بسماع كلام ربه.

ب. السمع والبصر:

قال تعالى:

{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الإسراء: 1).

والناس كلهم تحت أثر هذه الصفة، لكن العباد الكاملين من الأنبياء والرسل زادهم الله يقينًا حين أراهم من آياته ما لم يره غيرهم.

ج. الرؤية:

لا تكون في الدنيا، بل في الآخرة دار الكمال. قال تعالى:

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ • إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة: 22-23).

وقال النبي ﷺ:

«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ» (متفق عليه).

🔔 تنبيه مهم:

كل الصفات صفات الله وحده. لكن آثار بعضها يشمل كل الخلق، وبعضها لا يَحلُمُ به إلا العباد الكاملون الذين رفع الله عنهم الحجاب.

✨ الفصل الرابع: حكمة الابتلاء ورفع الحجاب

الله تعالى جعل هذه الدنيا دار امتحان، ليبتلي عباده: من يصبر على الطاعة، ومن يجاهد نفسه، ومن يتقرب إلى الله بالإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى:

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} (الملك: 2).

ومن تمام الحكمة أن يحجب الله نفسه عن أعين عباده في الدنيا، حتى يكون الشوق إليه دافعًا للعمل الصالح، وليكون لقاؤه ورؤيته أعظم نعيم في الآخرة.

✨ الخاتمة

تبين لنا من هذه الرسالة:

1. أن الله لا يُرى في الدنيا لأنها دار نقص، وأن الرؤية نعيم لا يكون إلا في دار الكمال (الآخرة).

2. أن الناس ثلاثة: كامل، ناقص، وكامل البعض.

3. أن صفات الله كلها كمال مطلق، لكن آثار بعضها يعم الناس كلهم، وبعضها لا يَحلُمُ به إلا الكاملون من عباده.

4. أن الحكمة في حجب الله عن الأبصار في الدنيا هو الابتلاء، وجعل الرؤية في الآخرة جزاءً للمؤمنين.

ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل النظر إلى وجهه الكريم يوم القيامة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

✍️ كتبه الفقير إلى عفو ربه

محمد عمر عبدي